



لغز الزمن في القرآن



عندها التاريخ ، وعلينا دائماً أن نتذكرها ونخرج منها بالعبرة .

والمستقبل بالنسبة لله حدث في علمه وانتهى وكل ما سوف يأتي في الغد القريب والبعيد بالنسبة لله تحصيل حاصل . . ولهذا نجد الله يصف أحداث يوم القيامة بالفعل الماضي مع أنها مستقبل .

« وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً » . ٩٩ - الكهف

« وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ » .

٦٨ - الزمر

« وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ . وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا » .

١٦ - الحاقة

٩١ - الشعراء

« وَبُرُزَّتِ السَّمَاءُ لِلْغَاوِينَ »

٤٨ - الكهف

« وَعَرَّضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا »

٢٢ - الفجر

« وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا » .

١ - النحل

« أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ »

كل تلك الأحداث المستقبلية يصفها الله بالفعل الماضي ، وذلك لأن الله متعال فوق الزمان والمكان وهو قد أجرى الزمن على مخلوقاته ولكنه تنزه سبحانه عن جريان الأزمنة عليه . . فكل شيء بالنسبة لعلمه قد حدث .

ثم نفهم من بعض ما كشف القرآن من أسرار أن الله أقام لكل نوع من مخلوقاته زمناً مختلفاً . فالروح وهو ملك عظيم مقرب يومه بخمسين ألف سنة من زماننا . . نفهم ذلك من الإشارة القرآنية .

« تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ

٤ - المعارج

سَنَةٍ » .

بينما الملائكة الآخرون (ملائكة التدبير والتصريف) يومهم بألف

سنة من زماننا . . فيصف القرآن أحد هؤلاء الملائكة المدبرة .
 « يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ
 مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ » .
 ٥ - السجدة

وفي إشارة أخرى يتكلم عن هؤلاء الملائكة (ملائكة العنودية الذين
 عند ربك) .

« إِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ » .
 ٤٧ - الحج

فاذا مات الإنسان وبعث فإنه يخرج من تقويم زمني إلى تقويم
 زمني آخر ، ولذلك يخيل إليه أن ألوف السنين التي لبثها في القبر وفي الدنيا
 كانت يوماً واحداً أو ساعة زمان .

« وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ
 كَانُوا يُؤْفَكُونَ . وَقَالَ الَّذِينَ أَلْمَنُوا بِالْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ
 إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » .

٥٥ - ٥٦ - الروم

وفي آية أخرى :

« كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ
 يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ »
 ٣٥ - الأحقاف

يقول الله إن هذا بلاغ مني أخبركم به من الآن عن هذه المفاجأة
 التي سوف تصدمون بها يوم البعث .

وفي آية أخرى يصف تصور الكفار للسنين التي عاشوها في الدنيا . .
 وكأنها ساعة .

« وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ » .

٤٥ - يونس

ويسأل السائل هؤلاء الخلق المبعوثين .

« كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ . قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ » .

١١٢ - ١١٣ - المؤمنون

إن أحقاد اللبث الطويل في الأرض وفي الدنيا تبدو لحظة البعث وكأنها كانت يوماً أو بعض يوم أو ساعة لأن الإنسان ينتقل من تقويم زمني إلى تقويم آخر مختلف تماماً (اليوم فيه ربما بألف سنة أو بخمسين ألف سنة) .

ونحن نستطيع أن نفهم الآن قضية تعدد الأزمنة في ضوء النظرية النسبية والعلم الحديث . فالقانون العلمي يقول لنا الآن إن كل نظام حركي له تقويم زمني خاص به ، فالشمس وكواكبها نظام حركي له زمنه الخاص به ، فإذا خرج رائد الفضاء من أقطار هذا النظام الحركي وذهب إلى مجموعة نجمية في مجرة أخرى فإنه يدخل في تقويم زمني مختلف مستمد من نظامه الحركي الجديد . وهذا القانون يفسر لنا اختلاف التقويم الزمني بين البشر والملائكة وبين الملائكة الأرضية والملائكة المقربين .

ثم يعلمنا القرآن أن الله قاهر على الزمن يستطيع أن يقبض المائة سنة عن مخلوقاته فتصير يوماً أو يمدّها فتكون مائة سنة دون أن تبحر مكانها ودون أن تغير نظامها الحركي . . وتلك هي المعجزة التي أجزاها على نبي التوراة عزرا الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه .

ويصف القرآن القصة قائلاً :

« أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نَنشُرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .
 البقرة - ٢٥٩

وما حدث أن الله قبض المائة سنة عن طعام عزرا فاحتفظ بصلاحيته ولم يتلف ولم « يتسنه » ، وكأنما لم يمر بالنسبة له زمن بينا مد الزمان للحمار فهلك وتحلل وأصبح رمة ثم أعاد الله تركيبه وبعثه حياً أمام عزرا .
 وهي آيات تكشف عن سلطان الله القابض الباسط للزمان دون تقيد بنظام حركي أو مكان .

وهو نفس ما حدث بالنسبة لأهل الكهف الذين قبض الله عنهم الزمن فمرت بهم ثلاثمائة سنة وهم نيام لا يطرأ عليهم طارئ .

« فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا » . ١١ - الكهف
 « وَحَسَبْنَاهُمْ أَيْقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنَقَلْنَاهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلَّبْنَاهُمْ نَاجِئَ بِلَابِهِمْ بِالْوَيْدِ لِيُؤْخَذَ مِنْهُمْ فَمِنْ أَيْنَ يَخْرُجُونَ » .
 ١٨ - الكهف

« وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا » .

٢٥ - الكهف

وعندما ايقظهم الله وتكررت نفس الظاهرة .
 « قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ » .

١٩ - الكهف

لأنهم خرجوا من القبض الزمّني إلى البسط الزمّني فاختلفت أمامهم المعايير واشتبه عليهم الأمر .

ثم نقرأ في القرآن إشارة أخرى تكشف لنا سرّاً آخر من أسرار الزمان وترينا علاقة الخالق بالأزمنة المتعددة التي يخلقها فتصف سورة الرحمن علاقة الله بخلقه .

« يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ » .

٢٩ - الرحمن

فالله بالرغم من تعاليه ومفارقته بالرتبة والمترلة لخلقه إلا أنه بلطفه وعنايته معهم جميعاً على اختلاف وتفاوت أنظمتهم الزمنية . . فالكل يسأله . . أهل السموات ويومهم بألف سنة ومنهم من يمتد يومه إلى خمسين ألف سنة وأهل الأرض ومنهم البشر ويومهم أربع وعشرون ساعة ومنهم مخلوقات متناهية في الصغر في نواة الذرة يومها جزء من مائة مليون جزء من الثانية . . والكل يسأل الله . . والله معهم جميعاً يستجيب لهم جميعاً سواء من دق يومه إلى اللاشيء أو طال إلى أبدية لا يشغله شأن عن شأن وإنما يعين الكل ويحجب الكل في ذات الوقت وذات الآن .

« يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ » .

٢٩ - الرحمن

فسبحان من لا يشغله آن عن آن ولا شأن عن شأن .

ونحن كبشر يمكن أن يكون لنا تذوق وفهم لهذه المراتب الزمنية ذات التقويم المتعدد حتى من قبل أن نخرج من دنيانا بالموت . . فالواحد منا يشعر أنه يمكن أن يحيا في زمن اللحظة والساعة وهي حياة الشهوات والنزوات والمنافع العاجلة والمشاعر المادية الغليظة والواقع الأرضي الفج ،

وتلك هي حياة القلق والتوتر والفرح الوحشي والندم القاتل والفوت الباعث للحسرة وذلك لأن « الآن » مفلتة « واللحظة » هاربة والحياة معها تكون طراداً مستمراً وقلقاً دائماً وكدحاً دائماً في سبيل لا شيء ، وتلك هي حياة الشهوانيين الذين يصطرعون ويقتلون ولا يعرفون للسكينة طعاماً ولا للهدوء حالاً فهم حطب لنار الشهوات في الدنيا وحطب لنار جهنم في الآخرة .

ويمكن للإنسان أن يعيش أيضاً في مرتبة أعلى فيخرج من زمن الشهوة إلى زمن العقل ويعيش في تأمل وسكينة وهدوء .

كما يمكن أن يرتفع إلى منزلة أعلى فيعيش كالصوفية في تسرد روحى مع الواحد وذلك بالخروج تماماً من هموم الدنيا ورغباتها وترك عالم التعدد والشتات إلى جمعية قدسية مع الله فيشم رائحة الجنة وهو ما زال على الأرض .

وذلك يعطى إدراكاً تقريبياً للأمر بالتذوق كما تعرف الأشياء بروائحها قبل أن تباشر بالأكل .

جعلنا الله وإياكم من أهل التذوق حتى نعرف الحقائق ذوقاً وشهوداً وندرك الأمور على ما هي عليه قبل أن نفاجأ باليوم الذى لا ينفع فيه مال ولا بنون .. يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً .. يوم تنهى المعةرة وتشخص الأعمال حاضرة .. لا تنفع فيها تذكرة .

